

المحاضرة السابعة (وفاة النبي صلى الله عليه و سلم)

• العناصر:

1. حال النبي صلى الله عليه و سلم و قد دنا الفراق.
2. الرسول صلى الله عليه و سلم حال الوفاة.
3. ردود الأفعال بعد الوفاة و تغسيل الرسول صلى الله عليه و سلم.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "دخلنا على رسول الله صلى الله عليه و سلم في بيت أمها عائشة رضي الله عنها حين دنا الفراق ، فنظر إلينا فدمعت عيناه صلى الله عليه و سلم ثم قال: مرحبا بكم حياكم الله ، آواكم الله ، نصركم الله ، و أوصيكم بتقوى الله و أوصي بكم الله ، إني لكم منه نذير مبين ، ألا تعلوا على الله في بلاده و عباده ، و قد دنا الأجل و المنقلب إلى الله و إلى سدرة المنتهى وإلى الجنة المأوى و إلى الكأس الأولى فاقرءوا على أنفسكم و على من دخل في دينكم بعدي مني السلام و رحمة الله".

و روى أنه صلى الله عليه و سلم قال لجبريل عليه السلام عند موته "من لأمتى بعدي؟ فأوحى الله تعالى إلى جبريل: أن بشر حبيبي أني لا أخذله في أمته و بشره بأنه أسرع الناس خروجا من الأرض إذا بعثوا ، و سيدهم إذا جمعوا ، وأن الجنة محرمة على الأمم حتى تدخلها أمتها، فقال صلى الله عليه و سلم : الآن قررت عيني".

قالت عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها: فقبض صلى الله عليه و سلم في بيته و في يومي بين سحرى و نحرى و جمع الله بين ريقى و ريقه عند الموت ، فدخل على أخي عبد الرحمن و بيده سواك فجعل ينظر إليه فعرفت أنه يعجبه ذلك فقلت : آخذه لك ؟ فأوامأ برأسه أن نعم ، فناولته إياه فأدخله في فيه فاشتد عليه ، فقلت له : ألينه لك ؟ فأوامأ برأسه أن نعم ، فلينته و كان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل فيها يده و يقول (لا إله إلا الله إن للموت لسكرات) ثم نصب يده يقول: الرفيق الأعلى ... الرفيق الأعلى ، فقلت : إذن و الله لا يختارنا.

روى سعيد بن عبد الله عن أبيه قال: لما رأت الأنصار أن النبي صلى الله عليه و سلم يزداد ثقلاً أطافوا بالمسجد ، فدخل العباس رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه و سلم فأعلمه بمكانهم و إسقاقهم ثم دخل عليه الفضل فأعلمه مثل ذلك ، ثم دخل عليه على رضي الله عنه فأعلمه بمثل ذلك ، فمد يده و قال "ها" فتناولوه فقال: ما تقولون ، قالوا:

نخشى أن تموت وتصايخ نساؤهم لإجتماع رجالهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فثار رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج متوكلاً على علىٰ و الفضل و العباس أمامة و رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقة من المنبر و ثاب الناس إليه فحمد الله و أثني عليه و قال: أيها الناس ، إنه بلغنى أنكم تخافون على الموت كأنه استتكار منكم للموت ، و ما تنكرون من موت نبيكم ألم أنع إليكم و تتعى إليكم أنفسكم؟ هل خلد نبىٰ قبلىٰ فيما بعث فأخذل فيكم؟ ألا إنى لاحق بربى و إنكم لاحقون به ، و إنى أوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً و أوصى المهاجرين فيما بينهم فإن الله عز و جل قال: "العصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات و تواصوا بالحق و تواصوا بالصبر" و إن الأمور تجري بإذن الله فلا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله ، فإن الله عز و جل لا يعجل لعجله أحد ، و من غالب الله عليه و من خادع الله خدعاً "فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض و تقطعوا أرحامكم" ، و أوصيكم بالأنصار خيراً فإنهم الذين تبوعوا الدار و الإيمان من قبلكم أن تحسنوا إليهم ، ألم يشاطروكم الثمار؟ ألم يوسعوا عليكم الديار؟ ألم يؤثروا على أنفسهم و بهم الخاصة؟

ألا فمن ولى أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم و ليتجاوز عن مسيئهم ، ألا و لا تستأثروا عليه ألا و إنى فرط لكم و أنتم لاحقون بي ، ألا و إن موعدكم الحوض ، حوض أعرض مما بين بصرى و الشام و صناعة و اليمن ، يصب فيه ميزاب الكوثر ، ملؤه أشد بياضاً من اللبن و ألين من الزبد و أحلى من الشهد من شرب منه لم يظماً أبداً ، حصباوه اللؤلؤ و بطحاؤه المساك ، من حرمته في الموقف غداً حرم الخير كله ، ألا فمن أحب أن يرده على غداً فليكفف لسانه و يده إلا مما ينبغي ، فقال العباس : يا نبى الله أوصى بقريش ! فقال صلى الله عليه وسلم: إنما أوصى بهذا الأمر قريشاً و الناس تبع لقريش برهם و فاجرهم لفاجرهم فاستوصوا آل قريش الناس خيراً ،

يا أيها الناس إن الذنوب تغير النعم و تبدل القسم فإذا برّ الناس بربّهم أئمتهم و إذا فجر الناس عقوهم ، قال تعالى: "وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون".

روى ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر رضي الله عنه: سل أبا بكر فقال: يا رسول الله دنا الأجل ، فقال: قد دنا الأجل وتدلى فقال: ليهذا يا نبى الله ما عند الله فلilit شعري عن منقلبنا ، فقال: إلى الله وإلى سدرة المنتهى ثم إلى

جنة المأوى والفردوس الأعلى والكأس الأولى والرفيق الأعلى والحظ والعيش المهن ،
 فقال : يا نبى الله من يلي غسلك ؟ قال : رجال من أهل بيتي الأدنى فالأدنى قال : ففيم
 نكفتك ؟ فقال : في ثيابي هذه وفي حلة يمانية وفي بياض مصر ، فقال : كيف الصلاة
 عليك منا ؟ وبكينا وبكى ، ثم قال : مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا إذا غسلتموني
 وكفنتموني فضعونى على سريري في بيتي هذا على شفيري قبري ثم أخرجوا عنى ساعة
 فإن أول من يصلى على الله عز وجل " هو الذي يصلى عليكم ولائكته " ثم يأذن
 للملائكة في الصلاة على فأول من يدخل على من خلق الله ويصلى على جبريل ثم
 ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة بأجمعها صلى الله عليهم
 أجمعين ثم أنتم فادخلوا على أفواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذوني
 بتزكية ولا صيحة ولا رنة ولبيدا منكم الإمام وأهل بيتي الأدنى فالأدنى ثم زمر النساء ثم
 زمر الصبيان قال فمن يدخل القبر قال زمر من أهل بيتي الأدنى فالأدنى مع ملائكة
 كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فأدوا عنى إلى من بعدي .

• يوم الوفاة:

قالت عائشة رضي الله عنها : فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم رأوا منه خفة في أول النهار ففرق عنه الرجال إلى منازلهم وحوائجهم مستبشرين
 واخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء ، فبينما نحن على ذلك لم نكن على مثل
 حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك ، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرجن عنى
 هذا الملك يستأذن علي ، فخرج من في البيت غيري ، ورأسه في حجري فجلس وتحيت
 في جانب البيت فخاطب الملك طويلا . ثم أنه دعاني فلعاد رأسه في حجري وقال للنسوة
 أدخلن .

فقلت : ما هذا بحس جبريل عليه السلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
أجل يا عائشة هذا ملك الموت جاعني ، فقال : أن الله عز وجل أرسلني و أمرني أن لا
أدخل عليك إلا بإذن ، ف إن لم تأذن لي أرجع ، و إن أذنت لي دخلت ، وأمرني أن لا
أقبضك حتى تأمرني فماذا أمرك ، وقلت له: أكف عني حتى يأتيني جبريل عليه السلام ،
فهذه ساعة جبريل ، فاستقبلنا بأمر لم يكن له عندنا جواب ولا رأى فوجمنا وكأنما ضربنا
بصاخة ما نحير إليه شيئاً وما يتكلم أحد من أهل البيت إعظاماً لذلك الأمر وهيبة ملائت
أجواننا ، قالت: وجاء جبريل في ساعته فسلم فعرفت حسه ، وخرج أهل البيت فدخل .
فقال : أن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول : كيف تجذك ، وهو أعلم بالذى تجد
منك ، ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفاً ، وأن يتم كرامتك وشرفك على الخلق ، وأن تكون
سنة في أمتك ، فقال صلى الله عليه وسلم : أجدني وجعاً ، فقال : أبشر ف إن الله تعالى
أراد أن يبلغك ما أعد لك ، فقال يا جبريل : أن ملك الموت أست أذن علي وأخبره الخبر
، فقال جبريل : يا محمد إن ربك إليك مشتاق ألم يعلمك الذي يريد بك لا والله ما يستأنن
ملك الموت على أحد قط ، ولا يستأنن عليه أبداً ، إلا أن ربك متم شرفك وهو إليك
مشتاق ، قال صلى الله عليه وسلم : فلا تبرح إذن حتى يجيء ، وإذن للنساء فقال :
يافاطمة أدنى فأكبت عليه فناجها فرفعت رأسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام ، ثم قال
أدنى مني رأسك ، فأكبت عليه فناجها فرفعت رأسها وهي تضحك ، وما تطيق الكلام
فكان الذي رأينا منها عجباً ، فسألناها سر ذلك ؟

فقالت : أخبرني وقال أني ميت اليوم فبكى ، ثم قال : أني دعوت الله أن يلحقك بي
في أول أهلي وأن يجعلك معي فضحتك ، وأذنت أبنيها منه فشمها ، قالت : وجاء ملك
الموت فسلم وأستأنن له ، فقال الملك : ما ت أمر يا محمد؟ ، قال صلى الله عليه وسلم :
الحقني بربى الآن ، فقال الملك: بلي من يومك هذا ، أما إن ربك مشتاق ولم يتزدد عن
أحد ترددك عنك ، ولم ينلهي عن الدخول على أحد إلا بإذن غيرك ، ولكن ساعتك أمامك
وخرج .

قالت وجاء جبريل فقال السلام عليك يارسول الله ، هذا آخر ما أنزل فيه إلى الأرض أبداً طوى الوحى وطويت الدنيا وما كان لي في الأرض حاجة إلا حضورك ، ثم لزوم موقفى لا والذى بعث محمداً بالحق ما في البيت أحد يستطيع أن يحير إليه في ذلك كله ولا بيعث إلى أحد من رجاله لعظم مانسمع من حديثه ووجدنا وأشفقنا .

قالت : فقمت إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أضع رأسه بين ثدي وأسكت بصدره وجعل يغمى عليه حتى يغلب ، ووجهته توشح رشحاً ما رأيته من إنسان قط ، فجعلت أسلت العرق ، وما وجدت رائحة شيئاً أطيب منه فكنت أقول له إذا أفاق بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي ما تلقى جبهاك من الرشح ، فقال يا عائشة : أن نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقته كنفس الحمار ، فعند ذلك أرتعدنا وبعثنا الي أهلانا ، فكان أول رجل جاءنا ولم يشهده أخي بعثته الي أبي فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يجيء أحد وأنما صدهم الله عنه لأنه لاه جبريل ومكيائيل ، وجعل إذا أغمى عليه ، قال : إلى الرفيق الأعلى ، كأن الخيرة تعاد عليه فإذا طلق الكلام ، قال : الصلاة إنكم لاتزالون متلمسكين ما صلیتم جمعياً الصلاة الصلاة ، كان يوصي بها حتى مات وهو يقول الصلاة الصلاة .

قالت عائشة رضى الله عنها : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين .

قالت عائشة رضي الله عنها لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتحم الناس حين ارتفعت الرنة وسجى رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة بثوبه فاختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم بما تكلم إلا بعد البعد وخلط آخرون فلاثوا الكلام بغير بيان وبقي آخرون معهم عقولهم وأقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلى فيمن أقعد وعثمان فيمن أخرس

فخرج عمر على الناس وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت وليرجعنه الله عز وجل ولقطع عن أيدي وأرجل رجال من المنافقين يتمنون لرسول الله صلى الله عليه و

سلم الموت إنما واعده الله عز و جل كما واعد موسى وهو آتكم ، و في رواية " يا أيها الناس كفوا ألسنتكم عن رسول الله فإنه لم يمت ، و الله لا أسمع أحداً يذكر أن رسول الله قد مات إلا علوته بسيفي " ، أما عثمان فجعل لا يكلم أحد يؤخذ بيده في جاء به و يذهب به.

و لم يكن أحد من المسلمين في مثل حال أبي بكر و العباس فإن الله عز و جل أيدهما بال توفيق و السداد وإن كان الناس لم يرعنوا إلا بكلام أبي بكر حتى جاء العباس و قال: و الله الذي لا إله إلا هو لقد زاق رسول الله صلى الله عليه و سلم الموت و لقد قال و هو بين أظهركم " إنك ميت و إنهم ميتون ثم إنكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون ".

تغسيل النبي صلى الله عليه و سلم

قالت عائشة رضي الله عنها : لما اجتمعوا الغسلة قالوا: و الله ما ندرى كيف نغسل رسول الله صلى الله عليه و سلم: أنجرده من ثيابه كما نصنع أو تغسله في ثيابه ؟

قالت : فأرسل الله عليهم النوم فما بقى منهم رجل إلا و أخدع لحيته على صدره نائماً ثم قال قائل لا يدرى من هو : غسلوا رسول الله صلى الله عليه و سلم في ثيابه ، فانتبهوا ففعلوا ذلك فغسل رسول الله في قميصه حتى إذا فرغوا من غسله كفن.

وقال علي كرم الله وجهه أردا خل قميصه فنودينا لا تخلعوا عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ثيابه فأقررناه فغسلناه في قميصه كما نغسل موتانا مستلقيا ما نشاء أن يقلب لنا منه عضو لم يبالغ فيه إلا قلب لنا حتى نفرغ منه وإن معنا لحيفا في البيت كالريح الرخاء ويصوت بنا أرقووا برسول الله صلى الله عليه و سلم فإنكم ستكتفون